الاجنبي الذي لا يطاق ، وكان تهديم التسلط التجاري لليهودي هو شرط نموها واستيلائها على سوقها »(٧).

هذا الصراع الدامي أحيانا بين البرجوازيتين من جهة، وارتباط مرحلة نمو الرأسمالية بفكرة البحث عن سوق وطنية مستقلة (الدولة القومية البرجوازية) من جهة اخرى ، وجد صورته الاكثر وضوحا في تبني كل من البرجوازيتين لفكرة القومية البرجوازية ، اذ بينما بدأت البرجوازية المسيحية تشدد في دعوتها لتوحيد الدولة القومية ، وتأمين السوق الخاصة الحرة لها، انطلقت البرجوازية اليهودية تفتش عن « سوق وطنية خاصة بها » تستطيع ان تتخذ منها قاعدة تنافس بها وتزاحم البرجوازية المسيحية ، الا ان افتقار هذه البرجوازية الى الاساس الطبيعي الذي تبنى بواسطته وعليه الدولة القومية البرجوازية (اللغة والارض والثقافة والمصالح المشتركة جميعها) وامتلاك البرجوازية المسيحية لهذا الاساس ، دفع البرجوازية اليهودية الى التفتيش عن أساس اخر تبني عليه دولتها العتيدة . وهكذا ، بعيدا عن جميع المقومات الاساسية لتشكيل الامة الواحدة ، وجدت البرجوازية اليهودية ضالتها المنشودة في الدين واعتبرت دعوتها القومية على أساس ديني سبيل الخلاص الوحيد لليهود مما يتعرضون له من اضطهاد وعزلة وعداء .

ان ايقاظ الحس الديني لدى اليهودي ، ودغدغة نوازعه الطبيعية والمشروعة للتحرر من الاضطهاد الذي مورس ضده قرونا طويلة في اوربا ، وتغذية تطلعاته العادلة للعيش بسلام ومساواة في مجتمع لا يتخذ من العداء له أساسا للتعامل معه . هذه الامال والتطلعات والاماني المشروعة كانت الورقة الذكية والمخادعة التي لعبت بها البرجوازية اليهودية على عقول وعواطف اليهود في شتى ارجاء الارض .

ان تحرير الانسان اليهودي ليست عملية منفصلة في مجتمع معين، بل لا يمكن ان يكون الا جزءا من تحرير الانسان كليا ، يهوديا كان أم غير يهودي ، ولقد كانت المطالبة بتحرير اليهودي في اوربا ، (واليهودي المطلوب تحريره هنا هو البروليتاري ، الكادح ، البسيط بالطبع وليس البرجوازي القابض على زمام السلطة والمال) . مطلبا منفصلا عن المطالبة بتحرير غير اليهودي ايضا ، اي المسيحي البروليتاري ، الكادح ، البسيط . كانت الطبقة المضطهدة واحدة : الطبقة الكادحة بشرائحها المسيحية واليهودية .

ولذا كان لا بد لمطلب التحرير هذا من ان يتجه الى جميع المضطهدين ، لا الى فئة واحدة منهم ، لان اتجاهه الى فئة واحدة يخفي خلفه خبث هذه الدعوة وعدم جديتها : « ان خلاص اليهود وتحولهم الى آدميين ، حيث يكون خلاص الانسانية وتحرر الانسان من اليهودية ، لا يمكن اعتباره مهمة خاصة باليهود بل مهمة عملية عامة للعالم الحديث، هذا العالم اليهودي حتى النخاع ، وقد ثبت ان مهمة القضاء على الطبيعة اليهودية هي مهمة التغلب على يهودي المجتمع البرجوازي ، وعدم انسانية الوجود الواقعي الذي يبلغ قمته في النظام المالي »(٨).

هذه الدعوة الى تحرير اليهودي وتشكيل الدولة القومية اليهودية ، وهي الدعوة التي أنجبت الحركة الصهيونية فيما بعد ، دعوة خاطئة ورجعية في الاساس ، وهي مناقضة لقوانين التطور التاريخي ومعادية لحركات التحرر والتقدم ، بما فيها الحركات القومية حتى في ذلك العصر : ذلك لانها ترتكز في الاساس على الموضوعية الخاطئة والقائلة بامكانية تحرير اليهودي في مجتمع غير محرر ، وامكانية فصل الاضطهاد الذي يمارس ضده عن الاضطهاد الذي يمارس ضد غيره . وهي رجعية في الاساس لانها دعوة البرجوازية التي وان كانت قد قادت حركة التقدم في مرحلة تحطيم الاقطاعية ، الا انها